جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 38 / كانون الأول 2023

المناسبة وأثرها في التفسير الموضوعي

The occasion and its impact on objective interpretation

أ.م.د سحر جاسم عبد المنعم الطريحي
Assit. Prof. Dr. Sahar Jasim Abdul Moneam Altureihi

جامعة الكوفة / كلية القانون
University Of Kufa / College of Law

الكلمات الافتتاحية: المناسبة، التفسير، الموضوعي، القصص، الاعجاز.

Keywords: Occasion, Interpretation, Objective, Stories, The miraculous.

الملخص:

إن علم المناسبات من أهم العلوم التي تخدم القرآن الكريم، وتبرز حقائقه التي لا يمكن الوصول إليها إلا به، فهو علم جليل القدر، عظيم الفائدة، لا يستغني عنه أي دارس للقرآن الكريم بغض النظر عن مستواه العلمي، أو الثقافي، فهو بما يحوي من بيان إعجاز النظم القرآني، والتناغم بين سوره وآياته، إلى درجة يجد القارئ أن الآيات والسور قد انتظمت غاية الانتظام، وارتبطت بعضها ببعض أشد الارتباط، مما يعينه على فهمها بشكل أفضل، ومعرفة مدلولاتها بطريقة أوضح، ومن ثم يحصل له الاطمئنان النفسي بمعرفة مدى التلازم بين أحكام الشريعة، وبين أسرار التكرار في القصص القرآني مثلا، فأكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط كما يقول الفخر الرازي رحمه الله تعالى، ومن هنا فنسبة علم المناسبات من علم التفسير كنسبة علم البيان من النحو، وهذا البحث هو محاولة متواضعة لإلقاء الضوء على بعض جوانب هذا العلم النفيس غاية النفاسة، عن طريق مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، عسى أن يكون فاتحة خير لمن أراد المزيد فيه.

Abstract

The science of occasions is one of the most important sciences that serves the Holy Qur’an, and highlights its truths that cannot be reached without it. It is a science of great value and great benefit, and no student of the Holy Qur’an can do without it, regardless of his scientific or cultural level, as it contains clarification. The miracle of the Qur’anic systems, and the harmony between its surahs and verses, to the point that the reader finds that the verses and surahs are extremely organized, and closely linked to each other, which helps him understand them better, and know their meanings in a clearer way, and thus he obtains psychological reassurance by knowing the extent of correlation between the provisions of Sharia law. And among the secrets of repetition in Quranic stories, for example, most of the parts of the Qur’an are deposited in arrangements and connections, as Al-Fakhr Al-Razi, may God Almighty have mercy on him, says. Hence, the relationship of the science of occasions to the science of interpretation is the same as the science of rhetoric to grammar, and this research is a humble attempt to shed light on some aspects of this science. Al-Nafis is extremely precious, with an introduction, three sections, and a conclusion. Hopefully it will be a good start for those who want more of it.

المقدمة

الحمد لله حمدا يخلف حمد الحامدين وراءهُ، والصلاة والسلام على سيد رسله وأنبيائه محمد بن عبد الله، وآله سادة المصطفين من اوليائه، والمنتجبين من احبائه .

وبعد ...

لا شكَ أن علم المناسبات من أهم العلوم التي تخدم القرآن الكريم، وتبرز حقائقه التي لا يمكن الوصول إليها إلا به، فهو علم جليل القدر، عظيم الفائدة، لا يستغني عنه أي دارس للقرآن الكريم، فهو بما يحوي من بيان

إعجاز النظم القرآني، والتناغم بين سوره وآياته، إلى درجة يجد القارئ أن الآيات والسور قد انتظمت غاية الانتظام، وارتبطت بعضها ببعض أشد الارتباط، مما يعينه على فهمها بشكل أفضل، ومعرفة مدلولاتها بطريقة أوضح، ومن ثم يحصل له الاطمئنان النفسي بمدى التلازم بين أحكام الشريعة، وبين أسرار التكرار في القصص القرآني مثلا، فأكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، ومن هنا فنسبة علم المناسبات من علم التفسير كنسبة علم البيان من النحو، وعلم المناسبة من أهم الموضوعات، والبحث في التفسير الموضوعي من أهم البحوث؛ لشرف هذه العلوم التي موضوعها القرآن الكريم وآياته وسوره، فهما جديران بالبحث والتأليف والتأصيل لحسم إشكاليات تفكك النظم، بالعودة إلى القران الكريم عن طريق السياق والسابق من الآيات فيرد الجزئي إلى الكلي، والكثرة إلى الوحدة، في نظم بديع الترتيب والاعجاز.

وقد أولى علماؤنا الكرام علم المناسبة عناية فائقة في كتب التفسير وعلوم القرآن والاعجاز، ووقف أصحاب الأشباه أو الوجوه و النظائر على كل كلمة لها وحدة موضوعية جامعة لمقاصد القرآن وأهدافه ضمن بواكير التفسير الموضوعي فنبهوا إلى مواضع الربط بين الآيات والسور والبحث عن سر ترتيبها، وقد اتسع البحث للأخذ بالمنهج التنظيري الوصفي لكل من لوني التفسير (علم المناسبة والتفسير الموضوعي).

وهذا البحث هو محاولة متواضعة لإلقاء الضوء على بعض جوانب هذا العلم النفيس غاية النفاسة، وقد جاء البحث بمقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة..

كان المبحث الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث: وتضمن مطلبين وهما:المطلب الأول: معنى المناسبة لغة واصطلاحا وتناول المطلب الثاني: التعريف بالتفسير الموضوعي، اما المبحث الثاني فتضمن أنواع المناسبات في القرآن الكريم، وتألف من ثلاثة مطالب: الأول منها كان عن المناسبات في السورة الواحدة، واما الثاني فكان عن المناسبات بين السورتين، والمطلب الثالث تضمن مناسبات عامة، واما المبحث الثالث فكان عن أهمية المناسبة وشروطها وأثرها، وتضمن ثلاثة مطالب، الأول: عن أهمية المناسبة، والثاني التعريف بشروطها، وأما المطلب الثالث: كان عن أثر المناسبة في التفسير الموضوعي، واما المطلب الرابع فكان عبارة عن: نماذج تطبيقية، ثم خاتمة البحث وأهم النتائج، فقائمة بمصادر البحث ومراجعه التي اعتمدها الباحث .

المبحث الاول: التعريف بمفردات العنوان

المطلب الاول: المناسبة في اللغة والاصطلاح:

أولاً: المناسبة لغةً:" اسْمٌ لما هو مُناسِب: مُناسَبةُ مَسْعًى، مُناسَبَة تَدْبير، مُناسبة إجراء، ما يَأْتي في مَحَلِّه، أي في الوقت أو الظُّروف المُلائِمة: عنده حِسُّ المُناسَبة في أَقْواله وأَفْعاله، ظَرْف: في هذه المُناسبة، مُناسَبة سَعيدة، فُرْصة، وَضْع طارئ: بَرْهَنَ عن بَراعة في عِدَّة مُناسَبات [1].

المُنَاسَبَةُ في البديعِ: "عبارةٌ عن الإتيان بكلماتٍ مُتَّزِنَةٍ، إمَّا مُقَفَّاةٌ و تسمَّى: تامَّةً، كقولِهِ تعالى: ن وَ ٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ... الآيات، أو غير مقفَّاةٍ و تسمَّى: ناقصةً" [2]

ومن المَجَاز: "المُناسَبةُ: المُشَاكَلَةُ، يقالُ: بين الشَّيْئَيْن مُنَاسَبَةٌ و تَنَاسُبٌ: أَي مُشَاكَلَةٌ و تَشَاكُلٌ" [3].

ثانياً: المناسبة اصطلاحاً:

يلاحظ أنَّ الاتّحاد في الجنس يسمّى مجانسة، و في النوع مماثلة، و في الخاصّة مشاكلة، و في الكيف مشابهة، و في الكمّ مساواة، و في الأطراف مطابقة، و في الإضافة مناسبة، و في وضع الأجزاء موازنة[4].

يقول الزركشي (ت:794هـ): (واعْلَمْ أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول، ويُعرف به قدر القائل فيما يقول، والمناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يُناسب فلانًا؛ أي: يَقرُب منه، ويُشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل؛ كالأخوين وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنًى رابط بينهما، وهو القرابة)[5].

وعرفه ابن العربي بقوله: (ارتباط آيات القرآن بعضها ببعض تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني ..) [6].

ثالثاً: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

مما سبق يتضح لنا أن هناك ترابطا وثيقا بين التعريف اللغوي والاصطلاحي للمناسبة؛ "فكلاهما يعني أن الآية وجارتها شقيقتان، يربط بينهما رباط من نوع ما، كما يرتبط النسب بين المتناسبين، غير أن ذلك لا يعني الآيتين أو الآيات متماثلة كل التماثل، بل ربما يكون بينهما تضاد، أو تباعد في المعنى، المهم أن هناك صلة، أو رابطاً يربط بين الآيتين، أو يقارب بينهما، سواء توصل إليها العلماء أم لا، فقد تظهر أحيانا، وتختفي أحيانا أخرى، وفي هذا مجال لتسابق الافهام والعقول، والتدبر في الربط والصلة بين الآيات والسور[7].

المطلب الثاني: التفسير الموضوعي في اللغة والاصطلاح

اولاً: تعريف التفسير في اللغة:

يعني الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33]،" الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكل جُعِل التفسر لإظهار المعنى المعقول، وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح" [8].

واما تعريفه في الاصطلاح: فقد عرفه الطبرسي بأنه: (كشف المراد عن اللفظ المشكل) [9].

ثانيا: تعريف الموضوع في اللغة والاصطلاح:

الموضوع لغةً: فهو في الأصل مصدر ميمي لفعل وضع، يقال في اللغة وضعه يضعه وضعا وموضعا وموضوعا، بمعنى حطّه، ويقال ذلك في الحمل والحمل –بفتح وكسر الحاء– فيقال: وضعت الحمل فهو موضوع، قال تعالى: ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾[الرحمن:9] وقوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[الرحمن:10]، فهذا الوضع عبارة عن الإيجاد والخلق. ووضْعُ البيت: بناؤه، قال عزوجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران:96]

ووضعت الدابة، أسرعت، وتضع في سيرها: تُسرع، ودابة حسنة الموضوع سريعة، وأوضعتها: حملتها على الإسراع[10]، والإبل ألزمتها المرعى فهي موضوعة[11].

والموضوع أيضا من الوضع؛ وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء أكان ذلك بمعنى الحط والخفض، أم بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان، تقول العرب: ناقة واضعة: إذا رعت الحمض حول الماء ولم تبرح، وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي؛ لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي أراده[12].

الموضوع اصطلاحاً:

جاء في المعجم الوسيط: "الموضوع هو المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه"[13]، وهو محل العرض المختص به، وموضوع كل علم: ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية، كبدن الإنسان لعلم الطب، وكالكلمات لعلم النحو[14].

فهو قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة، في العقيدة أو السلوك الاجتماعي، أو مظهرٌ من مظاهر الكون، تعرَّضت له آيات القرآن الكريم[15]، وإضافة (تفسير) إلى (موضوعي): صارت علما على هذا الفن، بعد أن رُكبت معها وصارت كلمة واحدة، كما هو الشأن في اسم (حضرموت)، أو (سيبويه)، فتنوسيت تلك الإضافة مع مرور الزمن، وصارت كأنها كلمة واحدة لها معنًا خاصًا بها.

ثالثاً: تعريف التفسير الموضوعي كمركب إضافي فهو: عبارة عن منهج جديد يُتناول به تفسير القرآن الكريم، بطريقة سهلة ميسورة تخدم المقبلين على كتاب الله تعالى ، فتمكنهم من فهم القرآن الكريم فهما دقيقا كاملا، وهو "عبارة عن جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد، مشتركة في الهدف، وترتيبها على حسب النزول–كلما أمكن ذلك– ثم تناوُلها بالشرح والتفصيل، وبيان حكمة الشارع في شرعه وقوانينه، مع الإحاطة التامة بكل جوانب الموضوع كما ورد في القرآن الكريم، والذب[16]' عما يمكن أن يكون قد أثير حوله من شُبَه الضالين والملحدين من أعداء الدين"[17]، أو هو(معرفة أحوال مجموعة من الآيات القرآنية في موضوع محدد، مرتبة على حسب النزول تارة، وغير مرتبة تارة أخرى من حيث دلالته على مراد الله تعالى يتيسر فهمه إلى المتلقي في كيان واحد..)[18] .

ويعرف أيضا بأنه علم يتناول القضايا بحسب المقاصد القرآنية عن طريق سورة أو أكثر[19].

وقيل: هو علم يبحث في قضايا القرآن المتحدة معنى وغاية عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة بشروط مخصوصة لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع[20]، وكل هذه التعاريف متقاربة بعضها لبعض، إذ تصب في معنى واحد، فبعضهم عرّف التفسير الموضوعي بوصفه علما

على فن مدون، وبعضهم عرفة على اعتبار أنه مركب وصفي، ولعل كل هذه التعاريف تخدم بعضها بعضا وتتم المعنى المطلوب.

المبحث الثاني: أنواع المناسبات في القرآن الكريم

المطلب الاول: المناسبات في السورة الواحدة.

اولاً: المناسبة بين أول السورة وخاتمتها[21]:

ومن أمثلة هذا المناسبة قوله تعالى في ختام سورة الأنعام: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام: 164، 165].

وجاء في ختام سورة الأنعام غاية التناسب مع أولها، فالاستفهام في الآية الخاتمة للسورة تعجبُّي استنكاري، يستنكر ممن يتخذ ربًّا غير الله، مع كونه قد خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، وهذان صنيعان يستوجبان الشكر الدائم لا العصيان، فقال في مطلع السورة: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:1] [22].

ثانياً:المناسبة بين الآية والتي تليها:

قال تعالى: ﴿ٱلحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعَٰلَمِينَ،ٱلرَّحمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، مَٰلِكِ يَومِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: 2_4]، ومن أمثلة المناسبة بين الآية والتي تليها؛ قوله تعالى﴿ إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾[الفاتحة:5]، فإنه لما ذكر في أول السورة استحقاق الله تعالى لكل المحامد، وكونه رباً للعالمين، وهو الرحمن الرحيم، وهو مع كل هذا الملك المتصرف في اليوم الذي لا ملك فيه لأحد إلا لله؛ كان من شأن كل عاقل أن يُقبِل على مَنْ هذه صفاته وتلك عظمته معترفاً بالعبودية له والذل الكامل لجنابه العظيم ملتجئاً إليه طالباً منه العون والمدد[23]، ثم إنه لما حمد وأثنى ومجّد واعترف بالعبودية ناسب أن يستشرف للطلب من ذلك الرب المستعان، فيقول: ﴿ ٱهدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلمُستَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6] [24].

ثالثاً: المناسبة بين حكمين في الآية الواحدة أو في الآيات في السورة الواحدة:

ويمثِّل ذلك آيات الاستئذان: قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدخُلُواْ بُيُوتًا غَيرَ بُيُوتِكُم حَتَّىٰ تَستَأنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهلِهَا ذَٰلِكُم خَير لَّكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ، فَإِن لَّم تَجِدُواْ فِيهَا أَحَدا فَلَا تَدخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤذَنَ لَكُم وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرجِعُواْ فَٱرجِعُواْ هُوَ أَزكَىٰ لَكُم وَٱللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ عَلِيم لَّيسَ عَلَيكُم جُنَاحٌ أَن تَدخُلُواْ بُيُوتًا غَيرَ مَسكُونَة فِيهَا مَتَٰع لَّكُم وَٱللَّهُ يَعلَمُ مَا تُبدُونَ وَمَا تَكتُمُونَ﴾ [النور:27_29]؛التي أعقبها الله –عزَّ وجلَّ– بآيات غضِّ البصر، ووجه المناسبة في ذلك أنَّ الاستئذان إنّما شُرع لئلَّا يقع النَّظر إلى ما حرَّم الله من عورات، وإن صدف ووقع النظر إلى العورات

فعلى المستأذن غضُّ بصره، والحكمة من مشروعية آداب الاستئذان وغض البصر واحد وهو العفة وحفظ العورات، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:30]، قوله: " قل " ترتب جواب الشرط عليه دل ذلك على كون القول بمعنى الامر والمعنى مرهم يغضوا من أبصارهم والتقدير مرهم بالغض إنك إن تأمرهم به يغضوا، والآية أمر بغض الابصار وإن شئت فقل: نهي عن النظر إلى ما لا يحل النظر إليه من الأجنبي والأجنبية لمكان الاطلاق، وقوله: " وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ " أي ومرهم يحفظوا فروجهم، والفرجة والفرج الشق بين الشيئين، وكنى به عن السوأة، وعلى ذلك جرى استعمال القرآن الملئ أدبا وخلقا ثم كثر استعماله فيها حتى صار[25].

والمقابلة بين قوله: " يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ " و " وَيَحْفَظُوا " فروجهم يعطي أن المراد بحفظ الفروج سترها عن النظر لا حفظها عن الزنا واللواطة كما قيل، وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام أن كل آية في القرآن في حفظ الفروج فهي من الزنا إلا هذه الآية فهي من النظر.

وعلى هذا يمكن أن تتقيد أولى الجملتين بثانيتهما ويكون مدلول الآية هو النهي عن النظر إلى الفروج والامر بسترها.

رابعاً: المناسبة بين اسم السورة وموضوعها:

مثاله: المناسبة بين مضمون سورة الكهف واسمها؛ فإن السورة قد ذكرت أنواع الفتن التي تمر بالمرء؛ إذ ذكرت فيها الفتنة في الدين في قصة الفتية، وفتنة الجلساء في قوله: ﴿وَٱصبِر نَفسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بِٱلغَدَوٰةِ وَٱلعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجهَهُۥ وَلَا تَعدُ عَينَاكَ عَنهُم تُرِيدُ زِينَةَ ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا وَلَا تُطِعمَن أَغفَلنَا قَل بَهُۥ عَن ذِكرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمرُهُۥ فُرُطا﴾[الكهف: 28]، وفتنة المال في قصة صاحب الجنتين، وفتنة العلم في قصة موسى والخضر، وفتنة السلطان في قصة ذي القرنين، وفتنة القوة والكثرة في خبر يأجوج ومأجوج، وذكرت هذه السورة المخرج من كل واحدة من هذه الفتن؛ فكأنها كهف لمن اعتصم بها من الفتن، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: { من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال }[26].

خامساً: المناسبة بين الآية وما قبلها.

كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [البقرة: 159]، وذلك بعد قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 158] [27].

وقد تأتي المناسبة بين الآية وما قبلها عمومًا؛ فقد يأتي العطف الذي يفيد التشريف والتكريم وسيلةً من وسائل المناسبة بين الآية وما قبلها، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ

شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف: 19]، فقد جاء قبلها قوله تعالى: ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: 18].

سادساً: المناسبة بين الآية وما بعدها من الموضوع نفسه .

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبرَٰهِيمَ خَلِيلا ﴾ [النساء:119] وما بعدها، و قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرضِ﴾ [النساء:120] ووجه التناسب: إنما اتخذ إبراهيم خليلاً؛ لحسن طاعته، لا لحاجته إليه؛ لأن له ما في السموات والأرض.

سابعاً : المناسبة بين جزء الآية وصدرها.

ومثال آخر لهذا النوع من المناسبة: تتحقق فيه هذه المناسبة على أساس تشوُّف سؤال، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١] .

إن السامع لَمَّا تشوَّف إلى معرفة مصير الذين كفروا وماتوا على كفرهم، وما يحل بهم، أُجيب بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾، وبهذا يكون ختامها قد ارتبط برابط مع حُسن أولها[28] .

المطلب الثاني: المناسبات بين السورتين.

اولاً: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة التي قبلها:

مثاله: في آخر سورة الإسراء قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلحَمدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَم يَتَّخِذ وَلَدا وَلَم يَكُن لَّهُۥ شَرِيك فِي ٱلمُلكِ وَلَم يَكُن لَّهُۥ وَلِيّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرهُ تَكبِيرَا﴾[الإسراء: 111]، وفي أول سورة الكهف التي تليها قال: ﴿ ٱلحَمدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبدِهِ ٱلكِتَٰبَ وَلَم يَجعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾، [الكهف: 1].

1 . أمر الله تعالى رسوله في خاتمة الإسراء بأن يحمد الله وقال: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ ﴾ .

فكأن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم استجاب لما أمره به فقال تعالى في أول الكهف: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

2 . ذكر سبحانه الكتاب في أواخر سورة الإسراء فقال: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ... وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾

وذكره في بداية الكهف فقال: ﴿ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا، قَيِّمًا﴾

فقال فيه: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾.وقال فيه: { قَيِّمًا ﴾؛ويعني ذلك أنه بالحق أنزله وبالحق نزل .

3 . قال عزّ وجل في خواتيم سورة الإسراء: ﴿ ... وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾

وقال في بداية الكهف: ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾

فكلتا الآيتين في الإنذار والتبشير .

4 . قال تقدست أسماؤه في خاتمة الإسراء: ﴿ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾
وقال في أوائل الكهف: ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾
جاء في البحر المحيط: مناسبة أول سورة الكهف بآخر ما قبلها أنه لما قال: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾، وذكر المؤمنين به أهل العلم، وانه يزيدهم خشوعا، وأنه تعالى أمر بالحمد له، وانه لم يتخذ ولدا، أمره الله تعالى بحمده على إنزال هذا الكتاب السالم من العوج، القيم على كل الكتب، المنذر من اتخذ ولداً، المبشر المؤمنين بالأجر الحسن، ثم استطرد إلى حديث كفار قريش والتفت من الخطاب في قوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿عَلَى عَبْدِهِ ﴾ لما في عبده من الإضافة المقتضية تشريفه ولم يجئ في التركيب: ﴿أَنزَلَ عَلَيْكَ }[29].

وجاء في روح المعاني: وجه مناسبة وضعها بعد الإسراء على ماقيل افتتاح تلك بالتسبيح وهما مقترنان في الميزان وسائر الكلام نحو ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ فسبحان الله و بحمده وأيضا تشابه اختتام تلك وافتتاح هذه فإن في كل منهما حمداً [30].
مثال آخر: في آخر سورة الطور قال: ﴿ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾ [الطور: 49]، وفي أول سورة النجم قال: ﴿والنجم إذا هوى﴾ [النجم: 1].

ثانياً: المناسبة بين مضمون السورة والتي تليها:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث﴾[الضحى:11]، وقال تعالى: ﴿أَلَم نَشرَح لَكَ صَدرَكَ﴾[الشرح:1]

مثاله: في سورة الضحى ذكرٌ للنعم الحسية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي سورة الشرح ذكر للنعم المعنوية عليه.

المطلب الثالث: مناسبات عامة.

وهي المناسبات التي يذكرها العلماء مطلقة في القرآن وهي كثيرة جداً نذكر منها أنموذجاً للبيان؛ افتُتحت سورتان بقوله: يا أيها الناس وهما: سورتا النساء، والحج، وذكر في الأولى بدء الخلق والحياة للإنسان: ﴿يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفس وٰحِدَة وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَاء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِۦ وَٱلأَرحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبا﴾ [النساء: 1]، وفي سورة الحج ذكر لنهاية هذه الحياة وبداية حياة أخرى: ﴿يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُم إِنَّ زَلزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيءٌ عَظِيم﴾ [الحج: 1].

قد يقول قائل: كيف تطلب المناسبات بين الآيات والسور علماً بأنها نزلت مفرقة كل واحدة منها في زمن يخالف زمن الأخرى، وفي قضية مغايرة لمضمون ما جاورها؟ وقد أجاب عن هذا التساؤل الزركشي فيما نقله عن بعض مشايخه المحققين فقال: "قد وهم من قال: لا يطلب للآية الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة؛ وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً؛ فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف" [31].

ويزيد هذا الجـواب إيضاحاً الشيخ محمد عبد الله دراز فيقول:"إن كانت بعد تنزيلها جمعت عن تفريق فلقـد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع، كمثل بنيان كان قائماً على قواعده فلما أريد نقله بصـورته إلى غير مكانه قدرت أبعاده ورقمت لبناته ثم فُرِّق أنقاضاً، فلم تلبث كل لبنة أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصاً يشد بعضه بعضاً كهيئته أول مرة"[32].

المبحث الثالث: أهمية علم المناسبة وشروطه وأثره :

المطلب الأول: أهمية علم المناسبة[33]

لا شك أن علم المناسبات من أهم العلوم التي تخدم القرآن الكريم، وتبرز حقائقه التي لا يمكن الوصول إليها إلا به، فهو علم جليل القدر، وعظيم الفائدة، ولا يستغني عنه أي دارس للقرآن الكريم بغض النظر عن مستواه العلمي، أو الثقافي،وعليه يمكن ايجاز اهمية هذا العلم بالاتي:

أولاً: " فعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته"[34]، فالقرآن الكريم هو المنبع الغزير لشتى العلوم، ومختلف الفنون، وعلم المناسبات هو المفتاح لها، فهو الذي يحوي من بيان إعجاز النظم القرآني، والتناغم بين سوره وآياته، إلى درجة يجد القارئ أن الآيات والسور قد انتظمت غاية الانتظام، وارتبطت بعضها ببعض أشد الارتباط، مما يعينه على فهمها بشكل أفضل، ومعرفة مدلولاتها بطريقة أوضح، ومن ثم يحصل له الاطمئنان النفسي بمعرفة مدى التلازم بين أحكام الشريعة، وبين أسرار التكرار في القصص القرآني مثلا، فأكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط كما يقوله الفخر الرازي رحمه الله تعالى.

ثانياً: نسبة علم المناسبات من علم التفسير كنسبة علم البيان من النحو[35].

ثالثاً: علم المناسبات يجعل أجزاء الكلام بعضهًا آخذًا بأعناق بعض، فيقوي بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء[36].

رابعاً: بهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين، أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب[37].

خامساً: علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه، وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول[38].

سادساً: عدم مراعاة علم المناسبات بين الآيات يوقع في بعد عن المعنى حتى في الآية الواحدة، وهذا ما حدث لكثير من المفسرين في تفسير آية الأهلة: جاء في سبب نزول صدر الآية عن ابن عباس: سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الأهلة فنزلت هذه الآية: ﴿ يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] . وقال أبو العالية: بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله لِمَ خلقت الأهلة؟ فأنزل الله: ﴿ يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾[39].

سابعاً: فهم مراد الله تعالى في كتابه، وعدم الوقوع في اللبس أو الخطأ أوالتأويل، فالمناسبة في أحايين كثيرة تكون مفتاح معرفة حِكَم القرآن ودُرره (استند كثير من القدامى والمعاصرين على هذا الجزء من قوله تعالى على لسان العزيز: ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [يوسف: 28] في القول بأن ذلك تقرير إلهي بأن كيد النساء عظيم؛ حيث غفلوا عن أن القائل هو العزيز، وكون القرآن أورد قوله لا يعني بالضرورة موافقته عليه، وكم قد اقتبس القرآن من أقوال الكفار والمنافقين! فضلاً عن أن هذا القول من العزيز دليل على ضَعف شخصيته وعجزه أمام انحراف زوجته) [40].

ثامناً: المناسبة تكشف أهمية الأمور وقدرها: ومثال ذلك: معرفة سر اقتران طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بطاعة الله تعالى في كثير من الآيات، ومغزى مجيء الزكاة بعد الصلاة في عدة مواطن من كتاب الله، وأهمية الإحسان بالوالدين؛ إذ جاء تاليًا للأمر بالتوحيد في أكثر من موطن[41].

تاسعاً: ومن أهمية علم المناسبات دفْع ما يُتوهَّم أنه تَكرار في القرآن: تحدث كثير من المفسرين والبلاغيين عن التكرار، وذكروا أن القرآن خال من التكرار، وأن ما به مما يُوهِم وجود التكرار، فإنما هو تشابه" وبه يتبيَّن لك أسرار القصص المكررات، وأن كل سورة أُعيدت فيها قصة، فلمعنى ادُّعِي في تلك السورة، استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سِيقت له"[42].

ويحسب الناس أن هناك تَكرارًا في القصص القرآني؛ لأن القصة الواحدة يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت في سورة واحدة – من ناحية القدر الذي يساق وطريقة الأداء في السياق* – وأنه حيثما تكررت حلقة، كان هناك جديد تُؤديه ينفي حقيقة التكرار[43].

عاشراً: يساعد علم المناسبة في ملاحظة اقتباس النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته من القرآن ونظمه: حيث توجد أحاديث كثيرة وُجِد فيها تناص** ومناسبة مع كثير من آيات القرآن الكريم، "فإذا تأمَّل الباحث نظامَ الآيات ورباط معانيها، ثم وصل إلى ما يجد له تأييدًا في كلام النبوة وآثارها، ازداد بذلك ثقة وارتياحًا إلى ما فتح الله عليه من خزائن حكمته، كما ازداد انشراحًا واقتناعًا بصحة ذلك الحديث الذي وجد له أصلاً في تنزيله"[44].
ومن أمثلة ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال:{يا معاشر الشباب، مَن استطاع منكم الباءةَ فليتزوَّج؛ ومن لا فعليه بالصوم فان له وجاء ...} [45]، وفي رواية اخرى: {يا معشر الشباب، مَن استطاع منكم الباءةَ فليتزوَّج؛ فإنه أغضُّ للبصر، وأحصنُ للفرج، فمَن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجاءٌ}[46].

المطلب الثاني: شروط علم المناسبة:

ويمكن تلخيص شروط استنباط المناسبة فيما يأتي:

1) أن يكون هناك انسجام مع سياق المناسبة والسابق واللاحق.
2) ألا تعارض المناسبةُ الشرعَ.
3) ألا تعارض المناسبة اللسان العربي المبين، فالقرآن العظيم نزل بها.

4) أن توافق المناسبة تفسير الآية، ولا تخالفها مخالفة تضاد.
5) ألا يجزم المفسر القائل بالمناسبة بأنها مراد الله، بل هذا ما توصل إليه باجتهاده وتدبره.
6) أن يكون المفسر على علم بأن المناسبة موجودة، ولا يشترط أن تكون ظاهرة في كل موضع.
7) ألا يتعسف المفسر عند ذكره المناسبة دون قرينة ولا يبالغ فيخرج النص عن مساره.
8) العلم التام بعلوم البلاغة؛ لأن علم المناسبة وجه من وجوه الإعجاز القرآني البلاغي والبياني[47].

المطلب الثالث: أثر المناسبة في التفسير الموضوعي

اولاً: علاقة علم المناسبة بالتفسير الموضوعي

لعلم المناسبة علاقة وثيقة بالتفسير الموضوعي، و تكمن في كون علم المناسبة وسيلة من وسائل التفسير الموضوعي بحيث يعتمد المفسر في التفسير الموضوعي على تلك اللطائف أو تلك المعاني أو تلك العلل التي يسبب بها للربط بين وحدات القرآن سواء على مستوى الألفاظ أو على مستوى الآيات أو على مستوى السور.

علم المناسبات وثيق الصلة بالتفسير الموضوعي – وبخاصة التفسير الموضوعي للسورة– وذلك لأننا نلحظ أن الآية أو مجموعة الآيات تنزل في أسباب مختلفة وحوادث متفرقة ثم توضع في سورة واحدة وقد تكون بين الآيات التي وضعت في موضع ما من السورة والآيات التي وضعت عقبها فترة زمنية قصيرة لا تتعدى الأيام وقد تكون فترة طويلة تتجاوز عدة سنوات – كما في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأمُرُكُم أَن تُؤَدُّواْ ٱلأَمَٰنَٰتِ إِلَى أَهلِهَا وَإِذَا حَكَمتُم بَينَ ٱلنَّاسِ أَن تَحكُمُواْ بِٱلعَدلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَا بَصِيرا﴾، والآيات التي قبلها من 51 إلى 58، ولكننا عندما نقرئُها نجد أن وحدة الموضوع يجمعها ومرمى الهدف والغاية من سياقها جميعها شيء واحد[48].

ولما كان علم المناسبة مسلكا من مسالك الكشف عن المقاصد الشرعية كان كذلك باعتبار أولى مسلكا من مسالك الكشف عن الموضوع الإجمالي للسورة الواحدة وربما للعدد من السور أو بين آيات متفرقة المواضعات مشتركة في المعنى، كما أن هذا العلم يكشف عن وحدة القرآن الكريم الموضوعية.

ثانياً: المناسبة والاعجاز القرآني

إن الصفة البارزة في القرآن الكريم هو كونه معجزاً، وهي الصفة التي لا يمكن انفصالها عن القرآن بأي وجه من الوجوه، وإلا خرج عن كونه كتاباً سماوياً وأصبح كتاباً عادياً يناوله الجميع، ولأهمية الإعجاز ودوره في تبليغ الدهوة وصدق النبوة وما يلعبه من دور عظيم في إضفاء المنزلة الرفيعة القيمة الكبرى لهذا الكتاب العزيز نشاهد تصنيفاً كبيراً فيه واهتماماً بالغاً من قبل كبار علماء المسلمين من أجل الوقوف على معانيه ومصاديقه،وسنوجز في هذا المطلب تعريف الاعجاز لغة واصطلاحا:

الإعجاز لغة هو: (الفوت والسبق بالنظر الى حال المُعجز وهو الضعف بالنظر الى حال العاجز) [49].

الاعجاز اصطلاحا: هو الذي يأتي به مدعي النبوة بعناية الله الخاصة خارقاً للعادة وخارجاً عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتعلم، ليكون بذلك دليلاً على صدق النبي وحجته في دعواه النبوة ودعوته[50].

يقول الدكتور محمد حسين الصغير في كتابه مجاز القرآن خصائصه الفنيّة وبلاغته العربيّة عن الاعجاز في القرآن (كان العرب بفطرتهم النقية أئمة بيان لا شك في هذا، والبيان العربي ذو جذور معرفة في القدم والأصالة يتكون مجموعه من عشرات الآلاف من الألفاظ، ولو كررت الألفاظ نفسها لكان الكلام واحدا، والتفاوت في الجودة والامتياز متلاشيا، وإذا كان الكلام واحدا والتفاوت بين أبعاده مفقودا، لذهبت خصائص البيان الأسلوبية، ولأصبحت حالته متفردة، غير قابلة للتفاضل، واذا تحقق هذا، فقد فقدت البلاغة العربية موقعها، والبيان العربي مميزاته، وحينما يكون المنظور الى الفن القولي متساويا، فما معنى الإعجاز البياني واللغوي والبلاغي في القرآن الكريم) [51].

والتناسب وجه أصيل من وجوه الإعجاز القرآني، ودليل آخر على ربانية هذا الكتاب العظيم، وأنه معجز كله؛ "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب" [52].

وان إعجاز القرآن البلاغي لم يرجع إلا إلى هذه المناسبات الخفية والقوية بين آياته وسوره، حتى كأن القرآن كله كالكلمة الواحدة ترتيبًا وتماسُكًا[53].

الإعجاز البياني للقرآن الكريم يعد جانبًا من جوانب الإعجاز القرآني، وهو يشير إلى الأسلوب الفريد والمتميز الذي استخدم في صياغة القرآن . يتضمن هذا الإعجاز البلاغة العالية، الجمال الأدبي، والتناسق الذي يمتد عبر القرآن بأكمله.

يُظهر هذا الإعجاز كيف أن القرآن لا يمكن أن يكون من إنتاج البشر بل هو وحي من الله تعالى ، فالقرآن يحتوي على العديد من الأمثلة التي تُظهر البلاغة الاستثنائية والجمال الأدبي، بما في ذلك استخدام الألفاظ الدقيقة، الجمل المعقدة، الأمثلة التوضيحية، والمفارقات البلاغية؛ كما يُظهر القرآن التناسق العميق عبر مختلف السور والآيات، حيث يتم تقديم المواضيع والأفكار بطرق متشابكة ومترابطة. القرآن الكريم يتميز بالوضوح والبساطة في التعبير، ولكنه في الوقت نفسه يحتوي على طبقات عميقة من المعنى والتفسير.

فضلاً عن ذلك، يعد القرآن مصدرًا للتشريعات والقوانين الأخلاقية والاجتماعية، وهو ما يبرهن على التفوق والإعجاز في محتواه بالإضافة إلى أسلوبه.

وعلم المناسبات في القرآن الكريم يحقق لشواهد ودلائل كثيرة تثبت عظمة إحكام القرآن، واتساق آياته وسوره، مما يثير العزائم للبحث عنها، ويشحذ الأذهان لتقصيها، ومن هذه الشواهد:

1 – وصف الله تعالى هذا القرآن بأنه حكيم ومحكم ونحو ذلك مما ورد في الآيات قال تعالى ﴿ تَنزِيلُ ٱلكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلعَزِيزِ ٱلحَكِيمِ ﴾ [الجاثية:2].

2 – وصف الله تعالى القرآن بأنه: لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد؛ قال تعالى ﴿لَّا يَأتِيهِ ٱلبَٰطِلُ مِن بَينِ يَدَي وَلَا مِن خَلفِهِۦ تَنزِيل مِّن حَكِيمٍ حَمِيد﴾

3. إعجاز القرآن البياني فيما أجمع العقلاء الألباء على أن القرآن معجز في أسلوبه وبيانه , وذلك يوجب أن تكون آياته متآلفة بعضها مع بعض وأن تكون سوره مرتبطة بعضها مع بعض.

4 – إن ترتيب القرآن توقيفي مأخوذ من الوحي الإلهي في آيات كل سورة وفي ترتيب السور بعضها مع بعض[54].

والمناسبة تؤكد التوقيف بالنسبة لترتيب الآيات والسور، وهي مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني الذي يؤكد الترابط بين الآيات والحكمة في تسلسل المعاني، وإلحاق فكرة بأخرى، وربط حكم بآخر، مما يؤكد وجود نسق قرآني مترابط متلاحم يسعى بعضه في تأكيد بعضيه الآخر وتوضيحه، للوصول إلى معنى مقصود وحكمة مبتغاة، وغاية مرجوة... والمناسبة تؤكد الترابط والتكامل في الآيات والسور، ولا يمكن تصور انفكاك الآيات عن بعضها، لأن ذلك يخل بالنسق القرآني المعجز، وعجز البشر عن إدراك وجه المناسبة لا يعني انعدام الترابط، ولهذا تتفاوت قدرات المفسرين في تلمس المناسبة المؤدية إلى غاية، ويحتاج علم المناسبة إلى إشراقة روحية تعين المفسر على تلمس عظمة الترتيب القرآني، ومهما بلغ العقل في درجة إدراكه، فإنه يعجز أحيانا عن إدراك أوجه للتقارب والتجانس تحتاج إلى صفاء نفسي وروحي، يوقظ قدرات القلب على الفهم والإدراك[55] .

وعلم المناسبات يكشف للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب؛ والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب. والأول أقرب تناولاً، وأسهل تذوقاً؛ فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط، ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره. وكلما دقق النظر في المعنى عظُم عنده موقع الإعجاز، ثم إذا عَبَرَ الفَطِنُ من ذلك إلى التأمل ربط كل جملة بما تليه وما تلاها خفي عليه وجهة ذلك، ورأى أن الجمل متباعدة الأغراض متنائية المقاصد فظن أنها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهز والبسط، وربما أشكله ذلك وزلزل إيمانه وزحزح إيقانه ... فإذا استعان بالله وأدام الطَّرْق لباب الفرج بإنعام التأمل، وإظهار العجز، والوقوف بأنه الذروة من إحكام الربط كما كان في الأوج من حسن المعنى انفتح له ذلك الباب، ولاحت له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار، ورقص الفكر منه طرباً وشكراً لله استغراباً وعجباً، وشاط لعظمة ذلك جنانه، فرسخ من غير مِريْة إيمانه[56] .

المطلب الرابع: نماذج تطبيقية

الإنموذج الاول: المناسبة في الاية 3 من سورة يوسف

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف:3]

المعنى الاجمالي للآيه:

اي نحن نقص عليك أيها الرسول المصطفى أحسن القصص، أي نحدثك أحسن الاقتصاص والتحديث ـ بيانا وأسلوبا واحاطة ـ أو احسن مايقص ويتحدث عنه موضوعا وفائدة، ويجوز الجمع بين المعنيين، فالقصص مصدر او اسم من قص الخبر اذا حدَث به على أصح الوجوه وأصدقها؛ لأنه من قص الأثر واقتصَه إذا تتبَعه وأحاط به

خبرا، كأنه قال: نقصُّه عن اقتصاص واحاطه، ويجوز أن يكون بمعنى اسم المفعول، فيكون القصص بمعنى المقصوص من الأخبار والأحاديث .

بِمَا ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ﴾ أي: بإيحائنا إليك هذه السورة من القرآن، إذ هو الغاية العليا في حسن فصاحته وبلاغته وتأثيره، وحسن موضوعه .

وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ أي: وان الشأن وحقيقة ما يتحدث عنه من قصتك أنت، أنك كنت من قبل إيحائنا من جماعة الغافلين عنه من قومك الأُميين الذين لا يخطر في بالهم التحديث بأخبار الأنبياء وأقوالهم[57] .

فآيات القرآن الكريم معجزة في جميع صورها، سواءٌ أوردت في صيغة خطابية أَم جدلية أم قصصية، والقصَص التربوى بصفة عامة يعطينا صورًا واضحة للفضائل والرذائل، حتى تترك آثارها العميقة في أغوار النفوس البشرية فتقبل على الفضائل لحسن عاقبتها، وتدبر عن الرذائل لقبح مصيرها.

وقد ساق الله سبحانه القصص القرآنية، لنستفيد من روايتها مكارم الأخلاق ونتعظ بعظاتها وعبرها، حتى نكون بمأمن من عثرات الحياة ومنجاة من أَخطار الدنيا والآخرة، وسورة يوسف مليئة بالعظات والعبر، فلهذا تعتبر بحق أحسن القصص كما وصفها الله تعالى.

ومعنى هذه الآية ما يلي: نحن نروي لك يا محمد أحسن القصص الواقعى النافع في شتى نواحي الحياة، وإن كنت من قبل إيحائه إليك، لمن الغافلين عن هذه القصة، فلم تخطر لك ببال، ولم يسبق لك بها علم[58].

قال القرطبي في بيان كون سورة يوسف أحسن القصص: مسألة اختلف العلماء لم سميت هذه السورة أَحسن القصص من بين سائر الأقاصيص، فقيل لأنه ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم ما تتضمن هذه القصة، وبيانه قوله في آخرها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[يوسف:111]؛ وقيل سماها أَحسن القصص بحسن مجاوزة يوسف عن إخوته وصبره على أذاهم، وعفوه – بعد التقائهم – عن ذكر ما تعاطوه، وكرمه في العفو عنهم حتى قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف:92]، وقيل لأَن فيها ذكر الأنبياء والصالحين، والملائكة والشياطين، والجن والإنس، والأنعام والطير، وسير الملوك والممالك والتجار والعلماء والجهال، والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن. وفيها ذكر التوحيد والفقة والسير وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش، وجُمَل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا[59].

ولما كان جسم هذه السورة قصة فقد أبرز ذكر القصص من مادة هذا الكتاب، على وجه التخصيص: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ﴾ أي: بإيحائنا هذا القرآن إليك قصصنا عليك هذا القصص – وهو أحسن القصص – وهو جزء من القرآن الموحى به .

﴿ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾: فقد كنت أحد الأميين في قومك، الذين لا يتوجهون إلى هذا النحو من الموضوعات التي جاء بها القرآن، ومنها هذا القصص الكامل الدقيق[60].

التحليل النحوي للآيه:

﴿ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾

الواو ـ واو الحال، (إن) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، (كنت) فعل ماض ناسخ، و(التاء) اسم كان، (من قبل) جار ومجرور متعلق بالغافلين، و(الهاء) ضمير مضاف اليه، و(اللام) هي الفارقة لا عمل لها، (من الغافلين) جار ومجرور متعلق بخبر كنت وعلامة الجر الياء، وجملة (إن كنت ...) في محل نصب حال، وجملة (كنت من الغافلين) في محل رفع خبر (إن) المخففة، والجار والمجرور (من قبل) متعلق بمحذوف حال من اسم كان، والتقدير: إن كنت حالة كونك من قبله لمن الغافلين[61] .

مناسبة الفاصلة:

الفاصلة في (لمن الغافلين) تُناسب سياق الآية؛ ذلك أن الله عز وجل امتنَّ على نبيه أن أعْلَمَه قصص الأمم والأنبياء السابقين، وما حدث بينهم وبين أقوامهم، وإن هذه القصص تُعد أحسن القصص؛ ففيها تسليةٌ وتثبيتٌ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يُعلمه الله سبحانه أخبار هؤلاء الأنبياء مع أقوامهم وقصصهم – عن طريق الوحي – كان غافلاً عن هذه القصص ولا يَعلمها، فبذلك ناسَبت فاصلةُ الآية (الغافلين) سياقَ الآية ومعناها وموضوعها[62].

الإنموذج الثاني: المناسبة في الآيات الثلاث الأولى من سورة الكهف:

قال تعالى:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا، قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّلِحَتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً، مَّكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾

المعنى الإجمالي:

تبدأ سورة الكهف؛ كما في بعض السور الأُخرى، بحمد الله سبحانه، وبما أنَّ الحمد يكون لأجل عمل أو صفة معينة مهمّة ومطلوبة، لذا فالحمد هُنا لأجل نزول القرآن الخالي مِن كل اعوجاج، فتقول الآية: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴾؛ هذا الكتاب هو كتاب ثابت ومحكم ومعتدل ومستقيم، وهو يحفظ المجتمع الإنساني ويحمي سائر الكتب السماوية[63].

وتتضمن الدعوة إلى الاعتقاد الحق والعمل الصالح بالإنذار والتبشير كما يلوح إليه ما افتتحت به من الآيتين وما اختتمت به من قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا ﴾[64].

وفيها مع ذلك عناية بالغة بنفي الولد كما يدل على ذلك تخصيص إنذار القائلين بالولد بالذكر ثانيا بعد ذكر مطلق الإنذار أولا أعني وقوع قوله: «و ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا﴾ بعد قوله: «لينذر بأسا شديدا من لدنه﴾، فوجه الكلام فيها إلى الوثنيين القائلين ببنوة الملائكة والجن والمصلحين من البشر والنصارى القائلين ببنوة المسيح (عليه السلام) ولعل اليهود يشاركونهم فيه حيث يذكر القرآن عنهم أنهم قالوا: عزير ابن الله.

و غير بعيد أن يقال إن الغرض من نزول السورة ذكر القصص الثلاث العجيبة التي لم تذكر في القرآن الكريم إلا في هذه السورة و هي قصة أصحاب الكهف و قصة موسى و فتاه في مسيرهما إلى مجمع البحرين و قصة ذي القرنين ثم استفيد منها ما استفرغ في السورة من الكلام في نفي الشريك و الحث على تقوى الله سبحانه.

التفسير:

قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴾

العوج: " بفتح العين وكسرها الانحراف"، قال في المجمع: العوج بالفتح فيما يرى كالقناة والخشبة وبالكسر فيما لا يرى شخصا قائما كالدين والكلام.

ولعل المراد بما يرى و ما لا يرى ما يسهل رؤيته و ما يشكل، ينظر الراغب في المفردات، بقوله: العوج – بالفتح – يقال فيما يدرك بالبصر سهلا كالخشب المنتصب و نحوه و العوج – بالكسر – يقال فيما يدرك بالفكر والبصيرة كما يكون في أرض بسيط يعرف تفاوته بالبصيرة وكالدين و المعاش[65].

فلا يرد عليه ما في قوله تعالى: ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ [طه: 107].

وقد افتتح تعالى الكلام في السورة بالثناء على نفسه بما نزل على عبده قرآنا لا انحراف فيه عن الحق بوجه وهو قيم على مصالح عباده في حياتهم الدنيا والآخرة فله كل الحمد فيما يترتب على نزوله من الخيرات و البركات من يوم نزل إلى يوم القيامة فلا ينبغي أن يرتاب الباحث الناقد أن ما في المجتمع البشري من الصلاح والسداد من بركات ما بثه الأنبياء الكرام من الدعوة إلى القول الحق والخلق الحسن والعمل الصالح و أن ما يمتاز به عصر القرآن في قرونه الأربعة عشر عما تقدمه من الأعصار من رقي المجتمع البشري و تقدمه في علم نافع أو عمل صالح للقرآن فيه أثره الخاص و للدعوة النبوية فيه أياديها الجميلة فلله في ذلك الحمد كله[66].

وقوله: «و لم يجعل له عوجا» الضمير للكتاب و الجملة حال عن الكتاب و قوله: «قيما» حال بعد حال على ما يفيده السياق فإنه تعالى في مقام حمد نفسه من جهة تنزيله كتابا موصوفا بأنه لا عوج له و أنه قيم على مصالح المجتمع البشري فالعناية متعلقة بالوصفين موزعة بينهما على السواء وهو مفاد كونهما حالين من الكتاب.

وقيل إن جملة «و لم يجعل له عوجا» معطوفة على الصلة و «قيما» حال من ضمير «له» والمعنى والذي لم يجعل للكتاب حال كونه قيما عوجا أو أن «قيما» منصوب بمقدر، و المعنى: و الذي لم يجعل له عوجا وجعله قيما، ولازم الوجهين انقسام العناية بين أصل النزول و بين كون الكتاب قيما لا عوج له.

وقد عرفت أنه خلاف ما يستفاد من السياق.

وقيل: إن في الآية تقديما و تأخيرا، و التقدير نزل الكتاب قيما و لم يجعل له عوجا وهو أردأ الوجوه.

وقد قدم نفي العوج على إثبات القيمومة لأن الأول كمال الكتاب في نفسه والثاني تكميله لغيره و الكمال مقدم طبعا على التكميل.

ووقوع «عوجا» وهو نكرة في سياق النفي يفيد العموم فالقرآن مستقيم في جميع جهاته فصيح في لفظه، بليغ في معناه، مصيب في هدايته، حي في حججه و براهينه، ناصح في أمره و نهيه، صادق فيما يقصه من قصصه وأخباره، فاصل فيما يقضي به محفوظ من مخالطة الشياطين، لا اختلاف فيه، و لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والقيم هو الذي يقوم بمصلحة الشيء وتدبير أمره كقيم الدار وهو القائم بمصالحها و يرجع إليه في أمورها، والكتاب إنما يكون قيما بما يشتمل عليه من المعاني، والذي يتضمنه القرآن هو الاعتقاد الحق و العمل الصالح كما قال تعالى: «يهدي إلى الحق و إلى طريق مستقيم»: [الأحقاف: 30]، وهذا هو الدين وقد وصف تعالى دينه في مواضع من كتابه بأنه قيم قال: «فأقم وجهك للدين القيم﴾: [الروم:43] وعلى هذا فتوصيف الكتاب بالقيم لما يتضمنه من الدين القيم على مصالح العالم الإنساني في دنياهم و أخراهم.

وربما عكس الأمر فأخذ القيمومة وصفا للكتاب ثم للدين من جهته كما في قوله تعالى: ﴿و ذلك دين القيمة﴾: [البينة: 5]، فالظاهر أن معناه دين الكتب القيمة و هو نوع تجوز.

وقيل: المراد بالقيم المستقيم المعتدل الذي لا إفراط فيه و لا تفريط، و قيل: القيم المدبر لسائر الكتب السماوية يصدقها و يحفظها و ينسخ شرائعها و تعقيب الكلمة بقوله: ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ لينذر بأسا شديدا من لدنه و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات﴾ الآية أي لينذر الكافرين عذابا شديدا صادرا من عند الله كذا قيل و الظاهر بقرينة تقييد المؤمنين المبشرين بقوله: ﴿الذين يعملون الصالحات» إن التقدير لينذر الذين لا يعملون الصالحات أعم ممن لا يؤمن أصلا أو يؤمن و يفسق في عمله﴾.

والجملة على أي حال بيان لتنزيله الكتاب على عبده مستقيما قيما إذ لو لا استقامته في نفسه و قيمومته على غيره لم يستقم إنذار و لا تبشير و هو ظاهر.

والمراد بالأجر الحسن الجنة بقرينة قوله في الآية التالية: ﴿ ماكثين فيه أبدا﴾، و المعنى ظاهر[67]، (قيماً) ويُنذر الظالمين مِن عذاب شديد: ﴿لِيُنذرَ بأساً شديداً مِن لدنه). وفي نفس الوقت فهو: ﴿ويُبشِّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم أجراً حسنا﴾، وهؤلاء في نعيمهم ﴿ ماكثين فيه أبداً﴾.

ثمّ تشير الآيات إلى واحدة مِن انحرافات المعارضين، سواء كانوا نصارى أو يهود أو مشركين، حيثُ تنذرهم هذا الأمر فتقول: ﴿ويُنذر الذين قالوا اتّخذ الله ولدا﴾ فهي تحذر النصارى بسبب اعتقادهم بأنَّ المسيح ابن الله، وتحذر اليهود لأنّهم اعتقدوا بأنَّ عزير ابن الله، وتحذَّر المشركين لِظَّنهم بأنَّ الملائكة بنات الله[68].

ثمّ تشير الآيات إلى أصل أساسي في إبطال هذه الإدعاءات الفارغة فتقول: إنَّ هؤلاء لا علم لهم ولا يقين بهذا الكلام، وإنّما هم مُقلدون فيه للآباء، وإنَّ آباءهم على شاكلتهم في الجهل وعدم العلم: ﴿ما لهم بِهِ مِن علم ولا لآبائهم﴾، بل: ولد؟ أو أن يحتاج إلى الصفات المادية وأن يكون محدوداً ... إنَّهُ كلام رهيب، ومثل هؤلاء الذين يتفوهون به لا ينطقون إلاَّ كَذِباً: (إن يقولون إلاَّ كذباً﴾

1 . افتتاح السورة بحمد الله سبحانهُ وتعالى:

هُناك خمس سور في القرآن الكريم تبدأ بحمد الله، ثمّ تعرج بعد الحمد والثناء على قضايا خلق السموات والأرض (أو ملكية الله سبحانهُ وتعالى لها) ، أو هداية العالمين، عدا هذه السورة التي تتناول بعد الحمد والثناء مسألة نزول القرآن على نبيّنا محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) وفي حقيقة الأمر إنَّ السور الأربع «الأنعام . سبأ . فاطر. الحمد» تتناول القرآن التكويني، فيما تتطرق سورة الكهف إلى القرآن التدويني، وكما هو معلوم فإنَّ الكتابين، أي (القرآن التدويني) وخلق الكون وما فيه (القرآن التكويني) كلٌ مِنهما مُكمّل للآخر، وهذا يوضح أنَّ للقرآن وزنٌ، يعادل الخلق. وأساساً فإنّ تربية الخلائق الواردة في الآية (الحمد الله رب العالمين) غير ممكنة، ما لم يُستفاد بصورة تامة مِن الكتاب السماوي العظيم، أي القرآن.

2 . القرآن كتابٌ ثابت ومستقيم وحافظ

كلمة «قيّم» على وزن كلمة «سيّد» ومُشتقة مِن مصدر الكلمة «قيام» وهُنا تأتي بمعنى (الثبات والصمود) إضافة إلى أنّها تعني المدبّر والحافظ لبقية الكتب السماوية، كما تعني كلمة «قيّم» في نفس الوقت الإعتدال والإستقامة التي لا اعوجاج فيها وإضافة إلى أنَّ كلمة «قيم» هي وصف للقرآن في عدم وجود أي اعوجاج في آياته، بل إنّ في مضمونها تأكيد على استقامة واعتدال القرآن، وخلوّه مِن أي شكل مِن أشكال التناقض، وإشارة إلى أبدية وخلود هذا الكتاب السماوي العظيم، وكونه أسوة لحفظ الأصالة، وإصلاح الخلل، وحفظ الأحكام الإلهية والعدل والفضائل البشرية.

صفة (القيّم) مُشتقة مِن (قيمومة) الباري عزَّ وجلّ التي تعني اهتمام الباري عزَّوجلّ وحفظه جميع الكائنات، والقرآن الذي هو كلام الله لهُ نفس الصفة أيضاً.

كما وصف الله سبحانهُ وتعالى دينه في عدّة آيات قرآنية بأنَّهُ (القيّم) حتى أنَّهُ أمر نبيّه الأكرام (صلى الله عليه وآله وسلم) بالعمل وُفق ما يمليه الدين القيّم والمستقيم: ﴿ فأقم وجهك للدين القيّم﴾ [الروم، 43]

وما ذكر أعلاه بشأن تفسير كلمة «قيّم»، أُخِذَ مِن عِدَّة تفاسير مُختلفة، وهو خُلاصة لما قالهُ المفسّرون من أنَّ كلمة «قيّم» تعني الكتاب الباقي الذي لا يُنسخ، أو الكتاب الحافظ للكتب السابقة، أو الكتاب القيّم على الدين، أو الخالي مِن الإختلافات والتناقضات، وكل هذه المعاني انصبت في المفهوم الذي ذكرناه.

وعدَّ بعض المفسّرين أنّ جملة (لم يجعل له عوجاً) تعني فصاحة ألفاظ القرآن وكلمة «قيماً» تعني البلاغة والإستقامة بالرغم مِن عدم امتلاكهم لأي دليل واضح على هذا التباين[69]، أثناء تفسير الآية، والظاهر أنَّ الكلمتين تؤكّد كل مِنهما الأُخرى، مع فرق أن كلمة «قيّم» لها مفهوم واسع، وتعني اضافة إلى معنى الإستقامة، المحافظ والمصلح للكتب المساوية الأُخرى.

3 . انذارين شديدين عام وخاص:

بعد الإنذار العام الذي وجهته الآيات في البداية لكافة البشر، وجهت الآيات المذكورة آنفاً انذاراً خاصّاً للذين ادّعوا بأنّ لله ولداً وهذا ما يوضح خطورة الإنحراف العقائدي الذي أصاب المسيحيين واليهود والمشركين، وانتشر بصورة واسعة في الأجواء التي نزل القرآن، ومِن الطبيعي فإنَّ انتشار مثل هذه الأفكار يقضي على روح التوحيد في ذلك المجتمع، إذ حدّوا الله سبحانه وتعالى بحدود مادية وجسمية، وأنَّهُ يمتلك عواطف وأحاسيس بشرية ، إضافة إلى وجود أكفاء وشركاء له، وأنَّهُ يحتاج إلى الآخرين.

وبسبب هذه المعتقدات نزلت آيات عديدة للردّ على تلك الشبهات، ومِنها الآية (68) في سورة يونس: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ والآيات مِن (88) إلى (91) في سورة مريم: ﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحمَٰنُ وَلَدًا، لَّقَد جِئتُم شَيًا إِدًّا، تَكَادُ ٱلسَّمَوَٰتُ يتَفَطَّرنَ مِنهُ وَتَنشَقُّ ٱلأَرضُ وَتَخِرُّ ٱلجِبَالُ هَدًّا، أَن دَعَوا لِلرَّحمَٰنِ وَلَدًا ﴾[70]؛ وما جاءَ في هذه الآيات المباركة يوضح قوّة الرّد الإلهي على تلك الإدعاءات، حيثُ أكّدت على العقاب الشديد الذي ينتظر مَن يعتقدون بمثل الخرافة، لأنَّ مَن يدّعي باتّخاذ الله سبحانه وتعالى ولداً، إنّما يمس كبرياء الباري عزَّوجلّ وعظمته، وينزلهُ إلى المستوى البشري المادي[71].

4 . الإدعاء الفارغ؛ إنَّ البحث في المعتقدات والمبادئ المنحرفة، كشف عن أنَّ أغلبها ليس لهُ أي دليل واقعي، ولكن بعض الأشخاص يتخذها كشعار كاذب كي يتبعهُ الآخرون، وتنتقل أحياناً مِن جيل إلى آخر كعادة. والقرآن هُنا يلقي علينا دروساً في تجنب الإدعاءات التي ليسَ لها أي دليل أو سند قوي، ويأمرنا بعدم إعارة أية أهمية لناقلها ومروجها، وقد اعتبر الله تبارك وتعالى تلك الأعمال مِن الكبائر، وعدّها مصدراً للكذب والدجل[72].

ولو اتّخذ المسلمون هذا الأصل منهجاً في حياتهم، أي عدم التحدُّث بشيء مِن دون التأكُّيد مِنهُ، ورفض أي شيء ليسَ لهُ دليل، وعدم الإهتمام بالإشاعات الفارغة، لتحسن الكثير مِن أُمورهم وتصرفاتهم الخاطئة.

5 . العمل الصالح برنامجٌ مستمر؛ فالآيات المذكورة أعلاه عندما تتحدَّث عن المؤمنين، تعتبر العمل الصالح بمثابة برنامج مستمر، إذ أَنَّ كلمة (يعملون) في قوله تعالى: ﴿يعملون الصالحات﴾ فعل مُضارع، والفعل المُضارع يدل على الإستمرارية، فالعمل الصالح يُمكن أن يصدر صدفة أو بسبب ما عن أي شخص، فلا يكون حينئذ دليلا على الإيمان الصادق، لكن استدامة العمل الصالح دليل الإيمان الصادق[73].

6 . صفة العبد أرقى وسام للإنسان، إنَّ القرآن عندما يتحدَّث في آياته عن قضية نزول الكتاب السماوي يقول: ﴿الحمدُ لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ وهذا يعني أن صفة «العبد» هي أرقى وسام وأعلى مرتبة ينالها الإنسان في معراج تكامله المعنوي، فإذا نال الإنسان وسام العبودية لله تعالى، فإنّه يرى أن كل شيء في العالم ملكاً لله، وعملا يسلك سبيل الطاعة لأوامر الله والتمسك بالنهج الذي رسمهُ وَحدَّده تعالى للإنسان، ولا يفكر في سواه ويرى أنّ خيرُ شرف للإنسان أن يكون عبداً صالحاً ومُلتزماً بأوامر ونواهي الباري عزَّوجلّ.

الخاتمة وأهم النتائج:

* خاتمة البحث:

إن موضوع التناسب بين آيات القرآن وسوره، والوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، هو من الموضوعات التي ينبغي أن تتفرغ لها جهود العلماء، والمهتمين بالدراسات القرآنية، فهو يُعين على الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى، وعلى تحقيق مقاصد هذا الكتاب العظيم في نفوس المؤمنين.

* أهم نتائج البحث يمكن إيجازها بالآتي:

1. إن هناك ترابطا وثيقا بين التعريف اللغوي والاصطلاحي للمناسبة؛ فكلاهما يعني أن الآية وجارتها شقيقتان، يربط بينهما رباط من نوع ما.

2. يرتبط النسب بين المتناسبين، غير أن ذلك لا يعني الآيتين أو الآيات متماثلة كل التماثل، بل ربما يكون بينهما تضاد، أو تباعد في المعنى، المهم أن هناك صلة، أو رابط يربط بين الآيتين، أو يقارب بينهما، سواء توصل إليها العلماء أم لا، فقد تظهر أحيانا، وتختفي أحيانا أخرى، وفي هذا مجال لتسابق الافهام والعقول، والتدبر في الربط والصلة بين الآيات والسور.

3. علم المناسبات يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوي بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء.

4. علم المناسبات يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين، أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب.

5. علم المناسبة علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه، وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول.

6. عدم مراعاة علم المناسبات بين الآيات يوقع في بعد عن المعنى حتى في الآية الواحدة.

7. يساعد علم المناسبة في ملاحظة اقتباس النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته من القرآن ونظمه.

8. التناسب عامل فعَّال في إظهار الإعجاز القرآني وأحد ركائزه.

9. لعلم المناسبة علاقة وثيقة بالتفسير الموضوعي، و تكمن في كون علم المناسبة وسيلة من وسائل التفسير الموضوعي بحيث يعتمد المفسر في التفسير الموضوعي على تلك اللطائف أو تلك المعاني أو تلك العلل التي يسبب بها للربط بين وحدات القرآن سواء على مستوى الألفاظ أم على مستوى الآيات أم على مستوى السور.

10. التناسب وجه أصيل من وجوه الإعجاز القرآني، ودليل آخر على ربانية هذا الكتاب العظيم.

11. إعجاز القرآن البياني فيما أجمع العقلاء الألباء على أن القرآن معجز في أسلوبه وبيانه، وذلك يوجب أن تكون آياته متآلفة بعضها مع بعض وأن تكون سوره مرتبطة بعضها ببعض.

12. إن ترتيب القرآن توقيفي مأخوذ من الوحي الإلهي في آيات كل سورة وفي ترتيب السور بعضها مع بعض.

الهوامش:

(1) ينظر: المنجد في اللغة العربية المعاصرة،مجموعة مؤلفين،ص1653.

(2) الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول،ج3/ص96.

(3) تاج العروس من جواهر القاموس،، ج2/ص1635.

(4) ينظر:موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب، ج1 / ص856.

(5) البرهان في علوم القرآن،الزركشي، ج 1/ص 35.

(6) البرهان في علوم القرآن، الزركشي،ج1/ص 36.

(7) ينظر: المناسبات بين الآيات والسور، سامي عطا حسن ص،12.

(8) المفردات في غريب القرآن؛ الراغب الأصفهاني، ج 1/ص 801.

(9) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني،ج 2/ص7.

(10) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني،ص: 526.

(11) التفسير الموضوعي، عبد الجليل، ص:33.

(12) مقدمة في التفسير الموضوعي، محمد بن عبدالعزيز الخضيري، كلية المعلمين قسم الدراسات القرآنية، ص 20.

(13) مجمع اللغة العربية، ج 2/ ص 1052.

(14) التوقيف على مهمّات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، ص 720.

(15) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ص 16.

(16) تعني: الدفاع.

(17) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، محمد يوسف القاسم،، ص 7.

(18) المبادئ العامة للتفسير، محمد حسين الصغير، ص124.

(19) مباحث في التفسير الموضوعي، ص 16

(20) التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا، أحمد رحماني، منشورات جامعة باتنة، ص: 42.

(21) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي،مصطفى مسلم، 68 وما بعدها..

(22) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، ص164.

(23) ينظر: تفسير الميزان، الطبطبائي، ج15/ص 223.

(24) ينظر:علم المناسبات في القرآن، محمد الخضيري،

(25) ينظر: تفسير الميزان، الطبطبائي،ج 111/15

(26) صحيح مسلم،مسلم النيسابوري، ج2/ ص199 +الاتقان في علوم القرآن،السيوطي،ج2/ص410.

(27) ينظر: التناسب القرآني عند البقاعي، مشهور موسى، ص 77

(28) ينظر: نظم الدرر؛ للبقاعي، ج 4/ ص 478 وما بعدها، بتصرف.

(29) ينظر: البحر المحيط، ابو حيان،ج 6/ ص95.

(30) ينظر:روح المعاني، ابو الثناء الالوسي، ج 15/ ص199 .

(31) البرهان في تفسير القرآن،البحراني،ج1/ص37.

(32) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ص57.

(33) ينظر: علم المناسبات، عبد الرحمن بن معاضه، ص 23 ومابعدها.

(34) انظر: معترك القرآن، السيوطي، ج1/ ص 220.

(35) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج1/ ص 6.

(36) البرهان في علوم القرآن، الزركشي،ج 1/ 35، 36.

(37) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي،ج 1/ص 11-12.

(38) البرهان في علوم القرآن، الزركشي،ج1/ص 35.

(39) تفسير ابن كثير(البداية والنهاية)، ابن كثير،ج 1/ص 225.

(40) القصص القرآني، صلاح الخالدي، ج2/ ص 127.

(41) التناسب في سورة البقرة، طارق مصطفى، ص 58.

(42) نظم الدرر، البقاعي، ج1/ ص 8،

* السياق هو:تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده؛ ينظر: نظرية السياق القرآني، مثنى عبد الفتاح، ص15.

(43) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج1/ ص 64.

** التناص:هوالوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص -أو الأجزاء-من نصوص سابقة عليها، ينظر: التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري، شربل داغر، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد 16، العدد 10، القاهرة، 1997، ص: 127.

(44) إمعان النظر في نظام الآي والسور، محمد عناية الله سبحاني، ص 258.

(45) المبسوط، الطوسي، ج4/ص152.

(46) صحيح البخاري، البخاري، ج6/ص117

(47) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي،ص57

(48) حكمت الخفاجي، التفسير الموضوعي، ص19

(49) ينظر:علم المناسبات: أهميته وظهوره وشروطه، محمد محمود كالو،20.

(50) لسان العرب، ابن منظور: مادة (عجز).

(51) الرحمن في تفسير القرآن، البلاغي،ج1/ص3.

(52) مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، محمد حسين الصغير،ص40.

(53) نظم الدرر، البقاعي، ج 1/ ص 7.

(54) الفصل والوصل، بسيوني عرفة، ص 39.
(55) ينظر: المدخل الى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان، ص141.
(56) السيوطي: أسرار ترتيب القرآن،ص 67.
(57) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا،ج12 /ص208.
(58) ينظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، ج4 / ص275
(59) ينظر: الجامع لاحكام القرآن، القرطبي، ج11/ص 213.
(60) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب،م 4/ص67.
(61) ينظر: المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها ونماذج تطبيقية من سورة يوسف،محمود حسن عمر،35.
(62) ينظر: المصدر نفسه،ص35.
(63) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي،ج7/ ص 320.
(64) تفسير الميزان، الطباطبائي، ج15/ ص 23.
(65) ينظر: المصدر نفسه، ج15، 233.
(66) ينظر: المصدر نفسه، ج15/ ص 230.
(67) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1/ص7.
(68) تفسير الميزان، الطباطبائي، ج15/ ص 23.
(69) ينظر:روح المعاني، ابو الثناء الالوسي، ج 15/ ص199
(70) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي،ج7/ ص 333.
(71) حول عقيدة التثليث واعتقاد المسيحين بأن المسيح ابن الله يُمكن مُراجعة ما جاء في ذيل الآية (171) من سورة النساء. ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي،ج7/ ص 334.
(72) القصص القرآنية، دراسة ومعطيات وأهداف، جعفر السبحاني،ج1 /ص67.
(73) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ج45/2.

المصادر والمراجع:

1. الاتقان في علوم القرآن،السيوطي(ت 911 هـ): عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ - 1974 م.
2. أسرار ترتيب القرآن، السيوطي(ت 911هـ): عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع،(د.ت).
3. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي:ناصر مكارم، الناشر: مؤسسة الاعلمي،(د.ت).
4. إمعان النظر في نظام الآي والسور،سبحاني: محمد عناية الله، الناشر:دار عمار للطباعة والنشر،(د.ت).
5. البحر المحيط،الاندلسي: ابو حيان، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت - 1420 هـ.

6. البرهان في علوم القرآن،الزركشي (ت 794هـ):أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعةالأولى، 1376 هـ - 1957 م.
7. البداية والنهاية، ابن كثير(ت:774هـ)، تحقيق: علي شيري،الطبعة الاولى، بيروت ـ 1408 هـ.
8. التحرير والتنوير،ابن عاشور: محمد الطاهر، الناشر: الدار التونسية للنشر، 1984م.
9. التفسير الموضوعي في المرحلة الجامعية دراسة وتقد،القرعاوي: سليمان بن صالح،الطبعة الاولى، الامارات ـ (د.ت).
10. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق،الخالدي:صلاح عبد الفتاح، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، 2012م 1433هـ.
11. التفسير الموضوعي، الخفاجي:حكمت عبيد،: مؤسسة دار الصادق الثقافية،: طبع، دار الرضوان للنشر والتوزيع، الاردن ـ 2013.
12. التناسب القرآني عند البقاعي، موسى:مشهور،الناشر: الجامعة الاردنية-عمان،(د.ت).
13. التناسب في سورة البقرة، حميدة: طارق مصطفى محمد، رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة، جامعة القدس، 2007 م.
14. التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري، شربل داغر، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد ١٦، العدد 10، القاهرة، 1997م.
15. الجامع لاحكام القرآن، القرطبي(ت: 671 هـ): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس، المحقق: هشام سمير البخاري،الناشر
دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية،الطبعة:1423 هـ ــ2003 م.
16. الرحمن في تفسير القرآن، البلاغي: محمد جواد، الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان،(د.ت).
17. روح المعاني، الالوسي(ت: 1270 هـ): شهاب الدين، المحقق: محمد السيد وسيد ابراهيم • دار النشر: دار الحديث-القاهرة ـ 2005 م.
18. صحيح البخاري، البخاري(ت:256هـ)،الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر،(د.ت).
19. صحيح مسلم، النيسابوري(ت:262هـ): مسلم، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت،(د.ت).
20. الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول، المدني (ت: 1119هـ): صدر الدين، الناشر: مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، ط 1436،1هـ.
21. علم المناسبات: أهميته وظهوره وشروطه، محمد محمود كالو،2022.
22. علم المناسبات في القرآن، الخضيري: محمد بن عبد العزيز،2014م.
23. الفصل والوصل؛ للدكتور بسيوني عرفة، ص 39، مكتبة الرسالة، القاهرة،(د.ت).

24. في ظلال القرآن، سيد قطب، ط2، الناشر: دار الاصول العلمية،2019م.
25. القصص القرآني؛ للدكتور صلاح الخالدي، ج2، ص 127، دار القلم، دمشق، الطبعة الاولى، 1419هـ-1998م.
26. لسان العرب، ابن منظور، ط3، الناشر: دار الصلاح، بيروت . 1414 هـ.
27. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، الناشر: دارالقلم، الطبعة الرابعة،1426 هـ - 2005 م.
28. مباحث في التفسير الموضوعي، جامع الكتب الإسلامية، مصطفى مسلم الناشر: دار القلم الطبعة الرابعة، 1426هـ.
29. المبادئ العامة للتفسير، الصغير: محمد حسين، الناشر: دار المؤرخ العربي، الطبعة الأولى، 1420 هـ.
30. المبسوط، الطوسي: (ت: 460)، تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد محمد تقي الكشفي، الطبعة الثانية، 1388هـ.
31. مجاز القرآن ـ خصائصه الفنية وبلاغته العربية، الصغير: محمد حسين، دار المؤرخ العربي، الطبعة الأولى- 1420هـ-1999م.
32. مجمع البيان، الطبرسي: الفضل بن الحسن، الناشر: مطبعة العرفان، صيدا- 1353هـ.
33. المدخل إلى التفسير الموضوعي، السعيد: عبد الستار فتح الله، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1991م ـ 1411هـ.
34. معجم مصطلحات أصول الفقه، هلال،هيثم، المحقق: محمد التونجي، الناشر: دار الجيل، 1424 هـ-2003م.
35. معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي: جلال الدين، دار النشر: دار لكتب العلمية،(د.ت) ·
36.المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني(ت 502هـ): أبو القاسم الحسين بن محمد
المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، الطبعة الاولى، دمشق بيروت ـ 1412 هـ.
37. مقدمة في التفسير الموضوعي، مجموعة من الباحثين،(د.ت) ·
38. المناسبات بين الآيات والسور،عطا حسن: سامي، جامعة الأردنية، مجلة دراسات، عدد (1)، 2007.
39. المنار في تفسير القرآن، رضا: محمد رشيد،الطبعة الثانية، 1366 هـ - 1947 م ·
40 مناهج المفسرين،الكبيسي: خليل رجب، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، 1990م.
41. مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني(ت 1367هـ): محمد عبد العظيم، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، (د.ت).
42 المنجد في اللغة العربية المعاصرة، مجموعة مؤلفين،(د.ت).
43.موسوعة علوم القرآن، منصور: عبد القادر محمد،الناشر: دار القلم العربى،الطبعة الاولى، حلب، 1422هـ 2002م.

44 موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب،جهامي: جيرار جهامي، الناشر: مكتبة لبنان، الطبعة الاولى، بيروت ـ 1998 م.
45 الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطبطبائي، ط1، الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، 1997م.
46 نظرية السياق القرآني، مثنى عبد الفتاح، (د.ت).
47 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي(ت:885هـ)،:ابراهيم بن عمر، دار الكتاب الاسلامي، الطبعة الثانية، القاهرة، (د.ت).
48 الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي: محمد سيد، طبعة المعارف،1996 م.